

مقدمة الكتاب

«أسرار الفن التشكيلي» عنوان هذا الكتاب الذى يجده القارئ بين يديه، ولعله يتساءل: ما هى تلك الأسرار التى يختص بها الفن التشكيلي دون غيره؟ الواقع أن كل فن له أسرارته التى لا يعرفها غير المتخصصين فى المهنة، أو كما يقال بالعامية «المحكنين فى الكار»، ولذلك قد لوحظ أن المحكنين يموتون وهم محتفظون بتلك الأسرار، التى ما كانت لتنتقل من الأستاذ لتلميذه، أو من المعلم لصبيه، إلا إذا كان هناك تتلمذ بالمعنى الحقيقى، ومعنى ذلك وجود تلميذ يعتقد فى أستاذه، وأستاذ وصل من الخبرة إلى درجة عميقة بحيث تجلب احترام كل من يتصل به ويقدره حق قدره. ومع الأسف فى زحمة انشغال كليات الفنون بتعليم الألاف، قد يتخرج الكثيرون ولم يقفوا على أسرار الفن الذى تخصصوا فيه، ولذلك تجد معلوماتهم تهتم بالشكل أكثر من الجوهر، وبالتالي هم يتصدرون مراكز الفن، ويمارسون شكلياته، دون أن يفحصوا فى أسرارهم، ويصلوا إلى درجة الأستاذية فيه. ولذلك يندر بين الناطقين بالضاد من حقق مجداً عالمياً فى الفن التشكيلي، بحيث يذكر اسمه مع قادة الفن فى العالم المتحضر المعاصر.

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمشتغلين بالفن التشكيلي على وجه العموم، فالمشكلة تظهر بشكل خطر بالنسبة للجمهور المتذوق بوجه عام، أين هو هذا الجمهور؟ وما هى معلوماته عن الفن التشكيلي؟ وكيف يشجع الفنانين ويرتاد معارضهم ويقتنى أعمالهم؟ الإجابة عن هذه الأسئلة تتجه ناحية السلب أكثر من الإيجاب. والقضية فى نظر المؤلف قضية الثقافة الفنية المنتشرة وضحالتها. أين الكتب التى تؤلف فى هذا المضمار؟ وما هى المجلات التى تصدر لتنير الرأى فى هذا المجال، وأين هى البرامج الخاصة فى مجالات الإعلام المختلفة، التى تتبنى قضية الفن التشكيلي وتبرزها للجمهور؟ إن الفرص المتاحة ضئيلة، ولذلك يزداد الجهل بالفن التشكيلي وأسراره مع ضحالة ما ينشر حوله.

هذه المشكلات دعت المؤلف أن يفكر ملياً في مداخل لحلها، وكان أهم شيء دار في ذهنه إيجاد مؤلف مبسط يحكى شيئاً عن الفن التشكيلي، ويشرح أسرارها، دون أن يخوض في تعقيد في مصطلحات عويصة تكره القارئ أكثر في تتبع الموضوع، ومعرفة شيء حوله، ولذلك خرج هذا الكتاب لييسر للجُمهور، وخاصة غير المتخصص، وطلاب الفن البادئين، شيئاً عن كنه الفن التشكيلي ومضمونه.

والكتاب يقع في ثلاثة أبواب رئيسية: الأول يعالج «مقومات الفن التشكيلي» وهي في نظر الكاتب وحدة متعددة الجوانب، ولذلك يشرح هذا الباب مفهوم هذه الوحدة من الوجهة الإبداعية، ثم يخوض في تفاصيلها: الخط، والمساحة والملمس، والكتلة والحجم، والنسب، والضوء، والإيقاع.. إلى آخر ما جاء من تفصيلات في هذا الكتاب، الذي يصور أخلاقيات هذه العلاقات مجتمعة في وحدة العمل الفني.

ثم ينتقل الكتاب إلى الباب الثاني وعنوانه «الفن التشكيلي وسيلة للتعبير ونقل الخبرة»، وهنا تعالج تفصيلات أخرى من طبيعة تختلف إلى حد ما عما جاء من تفصيلات في الباب الأول. فيشرح مفهوم الموضوع، والشكل والمضمون، والإثارة، والتلقائية، والعلاقة بين الصدفة والقصد، ومعنى التعبير، والخيال، والتجريد، والإيقاع، والأسلوب إلى آخر ما جاء بهذا الباب.

أما الباب الثالث فيعالج في عمومته «القيم الحضارية للفن التشكيلي»، فيربط بين الفن وشتى مقومات الحياة - يشرح الصلات بين الفن التشكيلي والمداخل المختلفة التي يحتك بها فتؤثر فيه وتتأثر به، ومن بين هذه الروابط صلة الفن بالحياة، والتراث، والأخلاق، والتربية السلوكية، والدين، والعلم، والأدب، والفلسفة، والتحليل النفسي، والفراغ، والصناعة، وغير ذلك من علاقات.

فالكتاب إذا يمثل ثلاث وحدات رئيسية: الأولى تعالج البناء، والثانية تعالج التعبير، والثالثة تعالج التأثير الحضاري للفن التشكيلي. والكتاب بهذا النحو محاولة لتجميع أسرار الفن التشكيلي في ثلاثة خيوط رئيسية، وليس معنى ذلك أن الموضوع قد وفي تماماً، فالحقيقة أن كل عنصر فيه يمكن أن تكتب عنه مجلدات لكي يستوفى بحثاً، ويحتاج لحياة أكثر من مؤلف ليدخرها، لخدمة

الموضوع واستيفائه، ولكن ما جاء هنا هو من قبيل فتح الشهية لموضوع دسم غنى بالأسرار.

والجدير بالذكر أن هذا المؤلف لم يكتب دفعة واحدة، بل هو ثمرة جهد سنوات، وقد بدأ مع بداية إعارتي لكلية التربية جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة عام ١٩٧٥، حيث جئت لإنشاء قسم للتربية الفنية في مكة المكرمة - تلك المدينة المقدسة - والذي بدأ في إخراج أول ثماره هذا العام. وساعد في كتابته ما أتاحت لي جريدة الندوة التي تصدر في مكة المكرمة، بأن أنشر للجماهير تبعاً شيئاً تحت عنوان «أسرار الفن التشكيلي» في ملحق الجريدة الذي كان يصدر كل خميس، وبعد ذلك في باب ندوة الأدب والثقافة الذي يشرف عليه الدكتور صالح جمال بدوى أيام السبت أو الاثنين. كما نشرت جريدة عكاظ بعض تلك الفصول، لكن بعد أن جمعت المادة، وأعيدت مراجعتها لإكسابها شيئاً من الوحدة، وإحلال فقرات بأخرى، وإدخال تعديلات، واستطرادات، هنا وهناك، وتقديم صور ملائمة، ظهر هذا الكتاب بشكله الجديد، الذي يعالج هذه المبادئ العامة للفن التشكيلي، التي تهم كل مشتغل بهذا الفن: مدرس، أو طالب، أو مثقف، يريد مدخلاً يرشده في هذا المضمار.

وقد كان لتلاميذي الذين أدرس لهم مادة التذوق الفني فضل في تتبع مادة هذا الكتاب بالمناقشة أثناء المحاضرات، وبالقراءة فيما كانت تنشره الصحفتان، الندوة.و عكاظ. وإذا كان لي أن أشكر بعض من شجع ودفع عجلة هذا الكتاب للأمام، فأشكر السيدة زوجتي التي أحاطت بإنتاجه بالرعاية، كما أشكر السيد/ لويس رزق الله برسوم للجهد الذي بذله في نسخ فصوله وإعدادها للمطبعة.

وفي الختام أرجو أن يكون هذا الكتاب إسهاماً بجهد متواضع في شرح قضية الفن التشكيلي، ومشكلاته، وأسراره، للقراء في الوطن العربي، والله أسأل أن يساعدني دائماً في البحث عن الحقيقة، ويعينني في التعبير عنها ونشرها، فما أجمل أن يكون ذلك من خلال الفن التشكيلي الذي يصور تلك الأسرار، ويعبر عنها للجماهير المتعطش دائماً لفهم هذا السحر الأزلي، الذي يحار معه، ويحسسه

دائماً بأن هناك شيئاً أكبر منه، وأخذ منه، سجله الموهوبون من البشر عبر
عصور متصاعدة من الحضارات المتعاقبة، تلك نعم الله، يهبها لمن يشاء، إنه نعم
المولى ونعم المعين، ومنه التوفيق وبه، وصدق الله في قوله: «فأما الزيد فيذهب
جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» (١). صدق الله العظيم.

المؤلف

فندق الفتح - مكة المكرمة

مايو ١٩٨٠

رجب ١٤٠٠

(١) القرآن: سورة الرعد، آية ١٧

مقدمة الطبعة الثانية

لقد راجعت الطبعة الثانية من هذا الكتاب، وعدلت بعض العبارات هنا وهناك لمزيد من الدقة، وأضفت فقرات لمزيد من الشرح، وجمدت الصور جميعها فوضعت مستنسخات أفضل من بعض الصور الأصلية، وحذفت الصور الباهتة، وجئت بغيرها أكثر وضوحاً ثم وضعت الصور فى تسلسل يسهل على القارئ متابعتها بادئاً بالصور الأسود والأبيض ومنتهاً بالصور الملونة.

ومازال لهذا الكتاب أهمية خاصة، إذ أنه يشرح ببساطة عناصر الفن التشكيلي ويقربها للقارئ بالأمثلة والمقارنات وربط الخبرة البصرية بغيرها من المداخل فى الأدب والسياسة والصناعة والدين وغير ذلك من مقومات حضارية فربط الكتاب بين الفن والحياة.

وقد لاحظت أن طلبة الفن وطالباته ينهلون منه ويبدد لهم الغموض الذى يكتنف ممارساتهم للفن ويستعين به طلبة كلية التربية الفنية فى إيضاح أهدافهم الفنية فى دروس الفن لتلاميذهم فى التعليم العام. إلى هؤلاء وإلى القارئ الذى يبحث عن ثقافة فنية أقدم هذه الطبعة الثانية من الكتاب راجياً أن تؤدى وظيفتها فى نشر الثقافة الفنية.

مصر الجديدة فى ١/١/١٩٩٣

أ.د. محمود البسيونى